الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
جامعة زيان عاشور بالجلفة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ والاثار

المشاريع الصليبية ضد إفريقية في القرن 14 م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبين:

❖موفقي مصطفى

❖ معمر السايح

إشراف الدكتور:

برق الغويني

الموسم الجامعي: 2022/2021

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
جامعة زيان عاشور بالجلفة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ والأثار

المشاريع الصليبية ضد إفريقية في القرن 14 م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

أعضاء لجنة المناقشة:

د/..... رئـــــيســـــا

د/..... مشـــرفـا ومـقـررا

د/..... عضـــوا مـمـتـحـنـا

الموسم الجامعي: 2022/2021

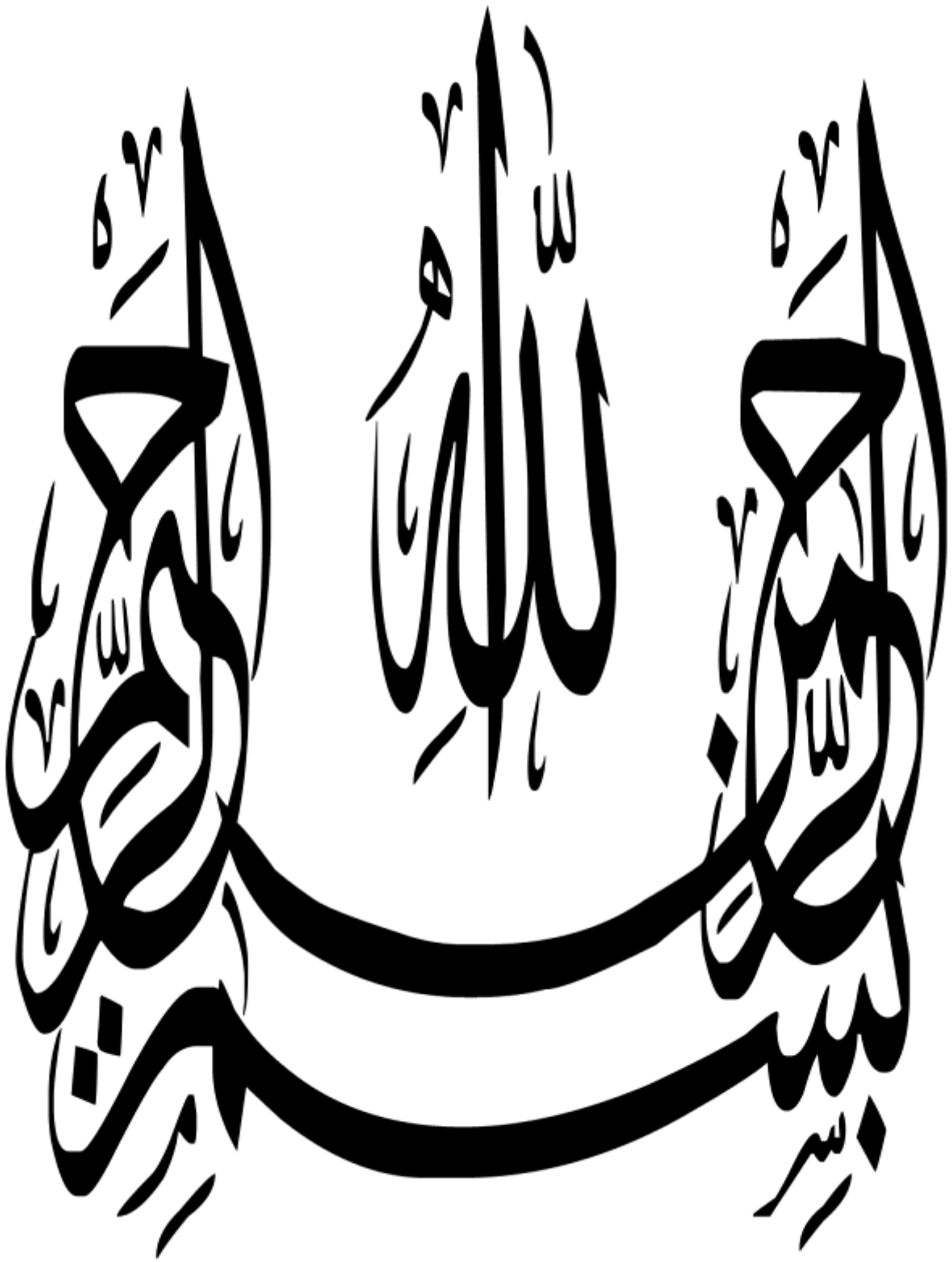
بسم الله الرحمن الرحيم

تشكر و عرفان

الحمد لله والشكر لله سبحانه وتعالى منحني القدرة في
بدء هذا العمل والقدرة على إنهائه. ان كان ثمة شكر
وعرفان بعد شكر المولى عز وجل فهو للذي أضاء لي
طريقي، فأنارت خبرته كل جوانب عملي، والذي بفضل
خبرته أولا وجهده ثانيا وأرشادته ثالثا لما استطعت أن
نأذهب على أكمل وجه فجزاه الله عنا خيرا

أستاذنا الفاضل الدكتور

الإهداء

باسم الخالق الذي أضاء الكون بنوره الإلهي وحده أعبده وحده، له المجد خاشعا شاكرا لنعمه وفضله على في تمام هذا الجهد

إلى صاحب الفردوس الأعلى وسراج الأمة المنير وشفيعها النذير البشير محمد صلى الله عليه وسلم فخرا واعتزازا.

إلى من سهر الليالي ونسي القوافي وظل سندي الموال وحمل همي غير مبالي والدي العزيز رحمه الله

إلى من أثقلت الجفون سهرا وحملت الفؤاد هما وجاهدت الأيام صبرا وشغلت البال فكرا ورفعت الأيادي دعاء وأيقنت بالله أملا أغلى الغوالي وأحب الأحباب أمي الغالية .

الى من عليهم اعتمدت واكتسبت بوجودهم قوة

اخوتي واخواتي:

إلى كل العائلة وأصدقائي

إلى كل من في قلبي ونسي قلبي أن يكتبه

الإهداء

باسم الخالق الذي أضاء الكون بنوره الإلهي وحده أعبده وحده، له المجد خاشعا شاكرا لنعمه وفضله على في تمام هذا الجهد

إلى صاحب الفردوس الأعلى وسراج الأمة المنير وشفيعها النذير البشير محمد صلى الله عليه وسلم فخرا واعتزازا.

إلى من سهر الليالي ونسي القوافي وظل سندي الموال وحمل همي غير مبالي والدي العزيز رحمه الله

إلى من أثقلت الجفون سهرا وحملت الفؤاد هما وجاهدت الأيام صبرا وشغلت البال فكرا ورفعت الأيادي دعاء وأيقنت بالله أملا أغلى الغوالي وأحب الأحباب أمي الغالية .

الى من عليهم اعتمدت واكتسبت بوجودهم قوة

اخوتي واخواتي:

إلى كل العائلة وأصدقائي

إلى كل من في قلبي ونسي قلبي أن يكتبه

مقدمة

مقدمة:

شكلت الحروب الصليبية التي بدأت في النصف الثاني من القرن 11 م. وإستمرت حتى القرن 15 م. واحدة من أكثر الأحداث الحاسمة في العصور الوسطى في كل من أوروبا والشرق الأوسط. فأينما حلت جلبت الحملات عواقب وخيمة، لكنها دفعت أيضًا إلى تغييرات جذرية داخل الدول التي نظمتها وشنتها. وحتى بعد انتهاءها، استمرت تأثيرات الحروب الصليبية من خلال الاعمال الأدبية والوسائل الثقافية الأخرى، بل وبُعثت كفكرة ما زال يسمع صداها حتى الآن، مع إستمرارها اللامتناهي بالتأثير على تفاصيل العلاقات الدولية.

لقد شهد بلاد المغرب الاسلامي العديد من ألحداث المهمة التي اهتز لها كيانه، و تركت بصماتها على سير مجرى الاحداث و لعل أهمها الصراع الاسلامي المسيحي الذي عرف باسم "الحروب الصليبية"، و التي دامت لعدة قرون من الزمن و ذلك في شكل حملات عديدة الواحدة تلوى الاخرى، ذاع صيتها في كل أنحاء العالم الاسلامي مخلفة آثارها على المسرح الدولي، ليس حتى نهاية العصر الوسيط فحسب بل امتدت لتؤثر على سير الاحداث في التاريخ الحديث و المعاصر، فكانت شمال إفريقية هي التي تلقت الضربات ألولى من الصليبيين،

عاشت منطقة الشرق الإسلامي قرنين كاملين من الحروب مع الحملات الصليبية التي جاءت من أوروبا، بدايةً من عام 1099 عندما احتلوا بيت المقدس وأنشأوا في العالم الإسلامي أربع ممالك مسيحية كبرى.

وبدأت حروب التحرير الإسلامية، وتكللت بنصر صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين في معركة حطين، ومن بعده بدأت الانتصارات الإسلامية واحدةً تلو الأخرى، حتّى خرج الصليبيون تماماً من العالم الإسلامي عام 1291م على يد السلطان المملوكي الأشرف خليل بن قلاوون.

ومن ضمن هذه الحملات الصليبية، كانت الحملة الصليبية الثامنة التي جاءت إلى العالم الإسلامي عام 1270 تحت قيادة الملك الفرنسي لويس التاسع، الذي حكم فرنسا بين عامي 1226-1270.

لكن هذا الملك كانت له ذكرى مريرة مع الحملات الصليبية، فهو نفسه الملك الذي قاد الحملة الصليبية السابعة عام 1249. وهي الحملة التي انتهت نهاية مأساوية للصليبيين عندما أسر المماليك الملك الفرنسي لويس التاسع نفسه، ولم يطلقوا سراحه إلا بشروطٍ صعبة وبفديةٍ ماليةٍ ضخمة.

الإشكالية:

وانطلاقا مما سبق نذكر الإشكاليات الآتية:

- ماهي الحملات والمشاريع الصليبية في افريقية؟

أسباب اختيار الموضوع:

أسباب ذاتية

- كون الموضوع يصب في مجال تخصصنا.
- إثراء رصيدنا المعرفي عن هذا الموضوع.

أسباب موضوعية

– إثراء المكتبة الجامعية بدراسة المشاريع والحملات الصليبية في افريقية.

– قلة الدراسات التي تناولت المشاريع والحملات الصليبية في افريقية.

خطة الدراسة:

وقد ارتأيت في رسالتي اعتماد مقدمة وفصلين:

حيث تناولنا في الفصل الأول ماهية الحروب الصليبة و أسبابها ونتائجها وفي الفصل الثاني تم التطرق الى المشاريع والحملات الصليبية في افريقية.

وفي الأخير تطرقنا إلى الخاتمة وفيها وضعنا اهم النتائج.

صعوبات الدراسة:

وقد واجهتني في هذا البحث عدة صعوبات من بينها:

–ضيق الوقت وصعوبة الحصول على المراجع و الظفر بها وذلك لا يخفى بسبب جائحة كوفيد 19 التي أتت على غلق المكتبات العامة وحتى الخاصة منها.

وفي الأخير أشكر الأستاذ الدكتور لجهده المتواصل معنا منذ بداية كتابة المذكرة وحتى نهايتها كما نشكر له توجيهاته ونصائحه القيمة من اجل أن تخرج المذكرة بأحسن صورة ومتمنين من الله عز وجل أن يحفظه.

الفصل الأول:

ماهية الحروب الصليبية

1- تعريف الحروب الصليبية

إن الحركة الصليبية هي رد الفعل المسيحي تجاه الإسلام، تمتد جذورها إلى بداية ظهوره، وقد تصالح المؤرخون على إطلاق الحروب الصليبية على الحركة الاستعمارية الصليبية التي ولدت في غرب أوربا واتخذت شكل هجوم مسلح على بلاد المسلمين في الشام والعراق والأناضول، ومصر وتونس لاستئصال شأن الإسلام والمسلمين والقضاء عليهم, واسترجاع بيت المقدس وقبر المسيح، خلال الفترة الزمنية الممتدة بين سنتي (488هـ - 690هـ/ 1095 - 1291م).

وقد درج المؤرخون على الاهتمام بثماني حمالات صليبية، اتجهت أربع منها نحو الأراضي المقدسة في فلسطين، وهي : الأولى والثانية والثالثة والسادسة ، واثنتان نحو مصر وهما: الخامسة والسابعة ، وواحدة إلى القسطنطينية وهي :الرابعة ، أما الثامنة فنزلت في شمالي إفريقية. [1]

وقد تخللت هذه الحملات ما كان يقوم به العامة من تنظيم مجموعات فاق بعضها سواء في الأعداد أو في الأهمية ما قامت به بعض الحملات المعروفة.[2]

2.أسباب الحروب الصليبية:

قد اختلفت الآراء في تفسير طبيعة الحركة الصليبية والدوافع الكامنة وراءها، فمنها ما هو مادي والبعض يرى أنها وليدة الحماس أو التعصب الديني الذي عرفت به أوربا في العصور الوسطى، وأن الباعث الحقيقي لتلك الحروب كان في الواقع هو الهوس الديني الممزوج بأغراض أخرى كالميل إلى تأسيس ممالك جديدة والحصول على الثروات الطائلة، وقد اعتبر غالبية المؤرخين القدامى والمحدثين تلك الحروب أنها حروب دينية، وأن العامل الديني كان الدافع الأساسي وراءها من أجل استعادة قبر المسيح والأراضي المقدسة من أيدي المسلمين.

[1] قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة، مصر ، 1990، ص 14.

[2] محمد العروسي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الاثير للنشر والتوزيع، الأردن، 1998، ص 27,

والآخرون يعتبرونها أحد مظاهر التوسع الاقتصادي الاستعمرأي في العصور الوسطى. وحقيقة الأمر، أن الحروب الصليبية كانت نتيجة لتفاعل هذه العوامل مجتمعة، لأنها قامت لأسباب سياسية واقتصادية واجتماعية، واتخذت الدين وقوداً أو وسيلة لإخفاء أغراضها المذكورة، ولا يمكن التقليل من الدافع الديني في تلك الحروب بأي وجه من الوجوه وهذا تفصيل الدوافع والأسباب:[1]

1.2.الأسباب دينية:

كان الدافع الديني من الأسباب الرئيسة التي دفعت بالجموع الصليبية إلى قلب المعركة، ومما يظهر أهمية الجانب الديني أنهم قد وضعوا إشارة الصليب على أسلحتهم والأمتعة الخاصة بهم وقصدوا فلسطين بالذات، وكان من الشعارات التي رفعت في هذه الحرب أن الحُجاج من النصارى كانوا يتعرضون للاضطهاد والعدوان وهم في طريقهم إلى بيت المقدس، ولعل ما يدخل ضمن الدافع الديني أيضاً أنه ذاعت في الغرب أخبار الكرامات والمعجزات التي بثتها الكنيسة، وساد الاعتقاد بأن نزول المسيح ثانية إلى الأرض أصبح وشيكاً ، ولا بد من المضي في الاستغفار وعمل الخير، قبل هبوطه، كما ساد تصور مفاده أنه ينبغي استرداد الأرض قبل عودة المسيح، وكان ذلك باسم تخليص القدس من أيدي المسلمين.[2]

ومن أشهر من تبنى الدعوة إلى الحروب الصليبية هو أوربان الثاني، والذي يعتبر المسؤول الأول عن الترويج لحرب المسلمين، والتحريض على إرسال الحملة الأولى إلى بلاد الشام، ولقد أثرت الكنيسة –لما لها من سلطان على قلوب الناس في غرب أوربا في تلك العصور– على الدعوة بهذه الغزوة، وترتب على دعوة الكنيسة خروج الناس أفواجاً في حملات صليبية ضخمة متلاحقة إلى المشرق الإسلامي.

[1] قاسم عبده قاسم، المرجع نفسه، ص 87.

[2] وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة: حسن الحبشي، مكتبة الأسرة، 1991، ص 56.

كما كان للكنيسة الغربية رغبة لتوسيع رقعتها الإقطاعية، والسيطرة على الكنائس الشرقية، إضافة إلى رغبتها في حرب المسلمين.

*خطبة أوربان الثاني:

عقد البابا أوربان الثاني اجتماع في مدينة «كليرمونت» الفرنسية من 18 إلى 28 نوفمبر 1095م، حضره أكثر من ثلاثمائة من رجال الكنيسة والجمّ الغفير من العوام، كما حضره أمراء من مختلف أنحاء أوربا، ومندوبون عن الإمبراطور البيزنطي، وممثلون عن المدن الإيطالية.[1]

أخبر البابا سامعيه في البداية بضرورة مساعدة إخوانهم في الشرق، فالعالم المسيحي الشرقي يستغيث من أجل المساعدة، والأتراك يتقدمون إلى قلب الأراضي المسيحية، ويسيؤن إلى السكان، ويستبيحون مزاراتهم المقدسة، ووصف ألوان المعاناة التي يعانيها الحجاج في سفرهم إلى هناك، وحث الحاضرين على الانتقام من المسلمين.[2]

بعد أن رسم تلك اللوحة الكئيبة أعلن مناشدته قائلا :" فليهب العالم المسيحي الغربي لإنقاذ الشرق، يجب أن يذهب الغني والفقير على السواء، وينبغي لهم أن يكفوا عن ذبح بعضهم البعض، وأن يحاربوا بدلا من ذلك حربا مقدسة فيكونوا بذلك فاعلين عمل الرّب، وسوف يقودهم الرّب، ومن يمت في المعركة يفز بالغفران ومحو الذنوب، وما الحياة على الأرض إلا حياة البؤس والشر، يرهق الناس أنفسهم فيحصدوا دمار أبدانهم وأرواحهم، هنا الناس فقراء تعساء، وهناك متمتعون مزدهرون، وأصدقاء الرب بحق، ولا ينبغي أن يكون هناك تأخير، فليكونوا على أهبة الاستعداد عندما يحل الصيف وسيكون الرب مرشدهم"[3].

واستطاع البابا أن يثير حماس السامعين في خطابه، فكانوا في كل مرة يقطعون الخطبة بهتاف وبترديد عبارة «الرب يشاؤها» (Deus lo volt)، ومنذ ذلك الحين باتت تلك هي صرخة الحرب التي رددها الصليبيون في كل معاركهم ضد المسلمين.

[1] محمد فرحات، تاريخ الحملات الصليبية، دار المنار للنشر والتوزيع، مصر، 1998، ص 67.

[2] المرجع نفسه، ص 68,

[3] قاسم عبده قاسم، المرجع نفسه، ص 57.

وقد وعد البابا الجموع المشاركين بالحرب، برفع العقوبات عن المذنبين منهم، وبإعفائهم من الضرائب، كما وعدهم برعاية الكنسية لأسرهم مدة غيابهم ،وقد أدرك البابا أن فورة الحماس الديني لن تستمر طويلاً، فدعا إلى القَسَم وبأن تؤدى الصلاة في كنيسة القيامة، وأشاع أن اللعنة والنقمة، ستحل على كل من يستولي عليه الجبن والضعف أو نكص على عقبيه، وهدّد بأن يتعرض كل من لا يلبي نداء الكنيسة بالتوجه صوب الديار الإسلامية بالحرمان من الكنيسة وبادر الحاضرون إلى اتخاذ الصليب شارة لهم، كما طلب أوربان الثاني من كل مشترك في الحملة أن يتأهب لمغادرة منزله بحلول 15 أوت من العام التالي بعد جمع الحصاد، ويجب أن تتجمع الجيوش في القسطنطنية .[1]

2.2. الأسباب السياسية:

يعتبر زحف الأتراك السلاجقة واستلاءهم على حمص وأنطاكية 1085م، وطرسوس ونيقيه أول سبب مباشر للحروب الصليبية ، وكذلك ما لحق بالإمبراطورية البيزنطية من ضعف وبعث ألكسيوس إمبراطور القسطنطنية برسله إلى أوربان الثاني وإلى مجلس بياسنزا Piacenza يستحث أوربا اللاتينية لتساعده على صد هجمات الترك سببا ثانيا؛ وكان من أقواله "إن من الحكمة أن يحارب الأتراك في أرض آسيا بدل أن ننتظرهم حتى يقتحموا بجحافلهم بلاد البلقان إلى عواصم أوربا الغربية".

وكذلك أنّ الفرسان والأمراء المحرومين من امتلاك الأراضي بسبب النظام الإقطاعي الذي يقضي أنه إذا مات صاحب الإقطاع فإن الابن الأكبر وحده هو الذي يرث الإقطاع، مما يجعلهم عديمي الأهمية مسلوبوا النفوذ لذا لبوا نداء البابوية، وأسرعوا إلى الإسهام في تلك الحركة لعلهم ينجحون في تأسيس إمارات لأنفسهم في الشرق، تعوضهم ما فاتهم في الغرب، وأما الأمراء والفرسان الذين كانوا يمتلكون إقطاعات فقد وجدوا في المشاركة في الحركة الصليبية فرصة طيبة لتحقيق مجد أكبر والحصول على جاه أعظم.

[1] أنطونيو دومينقير هورتز وبرنارد بنشت، الحروب الصليبية، ترجمة: عبد العال صالح طه، دار الاشراق، 1990، ص 44.

3.2. الأسباب الاقتصادية:

رغبة المدن الإيطالية: بيزا، وجنوى، والبندقية، وأملفي Amalfi في توسيع ميدان سلطانها التجرأي الآخذ في الازدياد، وكذا تجار مارسيليا الفرنسية و تجار المدن الأوربية الأخرى، الذين كانوا يسعون للحصول على امتيازات خاصة في البلاد المفتوحة من خلال الإعانة بالأساطيل البحرية .

وكذلك سوء الأحوال الاقتصادية في غرب أوربا في أواخر القرن الحادي عشر، وكانت فرنسا بالذات تعاني من مجاعة شاملة قبيل الحملة الصليبية الأولى، ولذلك كانت نسبة المشاركين منها تفوق نسبة الآخرين، فقد كانت الأزمة طاحنة حيث ألجأت الناس إلى أكل الحشائش والأعشاب، وبذلك جاءت هذه الحرب لتفتح أمام أولئك الجائعين بابا جديدا للخلاص من أوضاعهم الصعبة.

4.2. الأسباب الاجتماعية:

كان الفلاح الأوربي مغلوباً على أمره، وكان مطالباً بالتزامات عديدة لأصحاب الإقطاع حيث كان آلاف الفلاحين يعيشون عيشة منحطة في نظام الإقطاع، حيث شيدوا لأنفسهم أكواخاً من جذوع الأشجار وفروعها وغطيت سقوفها بالطين والقش، دون أن يكون لها نوافذ، ولا يوجد داخلها أثاث بل كان ما يجمعه الفلاح يعتبر ملكاً خاصاً للسيد الإقطاعي، فضلا عن قلة الأقوات وانعدام الطعام والشراب ، وكانوا يباعون ويشترون مع الأرض في ما يعرف بنظام الأقنان، ولذلك رأوا في الحروب الصليبية فرصة لتغيير نظام حياتهم، والتخلص نهائيا من قيود العبودية، لذا خرجوا بنسائهم وأولادهم خروجا بلا عودة، ولذا خرجوا قبل اكتمال الجيوش المنظمة، ولقد شارك الفلاحين البائسين المجرمين والخارجين عن القانون بغية النجاة من الاحكام وكذا لمزاولة السلب والنهب والقتل والاغتصاب.[1]

[1] قاسم عبده قاسم، مرجع سابق، ص 69.

3-الإطار التاريخي للحركة الصليبية:

لقد بدأت أحداثها الفعلية في السابع والعشرين من شهر نوفمبر سنة(1031م) في الوقت الذي كان البابا أربان الثاني ألقى خطبته في مجمع ديني بحشود المستمعين الذين اجتمعوا في حقل فسيح (في أوفريني بكليرمون جنوب فرنسا)، وكانت الدعوة شن حملة تحت راية الصليب ضد المسلمين في فلسطين ، ولكن أولى بوادر هذه الحركة بدأت في المغرب لا في المشرق بدليل أن المسيحيين شنوا حربا على المسلمين في الأندلس وفي جزيرة صقلية، بمشاركة البابوية والكنيسة بجهودها وأموالها، وخير برهان ما أشار إليه ابن الأثير وغيره، فقال:

في أحداث سنة(480هـ /1087م) تم فيها استيلاء الفرنج على مدينة طليطلة من بلاد الأندلس وأخذوها من المسلمين(1، وفي رواية أيضا لابن جبير أن المغاربة من المرابطين ثم الموحدين كانوا أول من أثار فكرة الجهاد ضد الحركة الصليبية، لسبب واضح هو أن هذه الحروب وقعت بالأندلس (الجناح الغربي للمغرب) قبل أن تمتد إلى المشرق[2] .

عرف العالم العربي الإسلامي عدة حملات أشهرها ثماني حملات، اتجهت أولاها نحو الشام وآخر حملة كانت بشمال إفريقية (تونس)، والتي اتخذت رقما عدديا باسم "الحملة الثامنة" بقيادة3 لويس التاسع.

---

[1] ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ**، تص : محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، ص 330 .

[2] ابن جبير ، **رحلة ابن جبير**، تح : حسين نصار، د ط، مكتبة نصر ،القاهرة، 1334م.

[3] محمد العروسي المطوي، **الحروب الصليبية في المشرق و المغرب** ، ط 4، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1384م ،ص 100. .

4- خلفيات الصراع الصليبي.

4-1- صورة المسيحي في الأدبيات الإسلامية والمسلم في الأدبيات المسيحية :

أعلن الإمبراطور قسطنطين في القرن الرابع للميلاد المسيحية كدين رسمي للحكومة فبعد اعتناقها، أدرك المسيحيون أن هناك عرب عرفوا بالسراسنة قبل الإسلام، اشتهروا بالسلب والنهب وخراب الأراضي فهم في أعين الغرب المسيحي مجرد كارثة مثلهم كمثل الشعوب البربرية الأخرى .[1]

وبقيت نظرة المسيحيين لهم حتى بعد دخولهم في الإسلام، وهكذا حدث أن الكتاب المسيحيين الذين أخذوا يوجهون اهتمامهم بحياة النبي محمد صل الله عليه وسلم فوصفوه بالساحر الذي هدم الكنيسة بإفريقية وفي الشرق عن طريق السحر والخديعة، وأنكروا عليه صفة النبوة والرسالة وأنه هو صنم المسلمين الرئيسي[2] .

ومن زاوية أخرى فقد سجل لنا التاريخ مواقف إيجابية للمسيحيين عن الإسلام، أنه لما ارتحل أبو طالب تاجرا إلى الشام وبصحبته النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وكانت الشام تحت الحكم الروماني وكان في هذا البلد راهب عرف ببحيرا (جرجيس) فلما نزل الركب خرج عليهم، فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته، وسأل أبي طالب أن يرده خوفا عليه من اليهود[3] .

وبعد خسارة الكنيسة المسيحية لمستعمراتها في بلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا واسبانيا ونجاح الفتوحات الإسلامية، فسروا بعض المؤرخين هذا النجاح على أسس إقتصادية بحتة، فعبر[4] توماس أرنولد عنها حيث وصف حركة التوسع العربي أنها كانت هجرة جماعة دفعها الجوع والحرمان جعلها تجتاح بلادا أكثر خصبا، وكثرت كتابات عدة

---

[1] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج 1، د ط، دار الأمة، الجزائر ، 2009، ص 110 .

[2] جوزيف شاخت، و كليفورد بوزورث، **تراث الإسلام**، تر: محمد رهير السمهوري وآخرون، تح: شاكر مصطفى، ج 1، ع 433، د ط، عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص ص 33 – 30 .

[3] كفوري صفي الرحمن المبارط، **الرحيق المختوم**، د ط، دار ابن خلدون، د ب ن، د س ن، ص 45 .

[4] سورة هود، الآية 118.

في الغرب، زادت حدة العداء للمسلمين خلال القرنيين الثاني عشر والثالث عشر الميلادين فيما يعرف باسم الحروب الصليبية من خلال خطبة البابا إربان الثاني الذي أشرنا إليه سابقا.

4-2-- الرؤى الإسلامية للجانب المسيحي :

تجلت عظمة الدين الإسلامي في عدة مبادئ، إذ أن الله سبحانه وتعالى قد جعل الناس أمما مختلفة، وبالتالي فهي تتصارع وتتدافع وتختلف بدليل قوله تعالى: "ولو شاء ربك لجعل الناسس أمة واحة ولا يزالون مختلفون"

وهذا يعكس ما فعله اليهود حين دعوا أهل نجران من النصارى إلى اعتناق اليهودية وخيروهم بين ذلك والقتل ففضلوا القتل، فكان مصيرهم[1] الأخدود والحرق بالنار والقتل.

وهذا دليلا قاطعا على روح تسامح الإسلام بخلاف الأديان الأخرى التي عرف بها العرب والتي لم يكن لها نظير في الشرق أو الغرب في العصور الوسطى[2]، وقد حرم الإسلام دم الذمي كدم المسلم[3] كما أباح لهم إقامة شعائرهم في كنائسهم ولا تهدم كنائسهم بل تسمح بإعادة عماراتها[4]، ودق نواقيسهم إيذانا بصلاتهم ولهم إخراج صلبانهم في يوم عيدهم، وزيارتهم وعيادة مرضاهم وبدخولهم المساجد والصلاة بجوار المسلمين، ومصاهرتهم والتزويج من نسائهم المحصنات العفيفات كما ضمن الإسلام لغير المسلمين الحق في العمل والتجارة[5] .

---

[1] ابن إسحاق ، **السيرة النبوية**، تح : أحمد فريد المزيدي، ج 1، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990 ،ص 30 .

[2] سعيد عاشور، واسمت غنيم، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، د ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1337م، ص 100

[3] نفسه، ص 30 .

[4] جان موريس فييه، **أحوال النصارى في خلافة بني العباس**، ط 1، دار المشرق، بيروت، 1990، ص 174 .

[5] إدوارد غالي الذهبي، **معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**، ط1، مكتبة غريب، القاهرة، 1993، ص 31.

ونجد من مظاهر التعايش والتقارب بين الديانتين أنه في عهد المهتدي بالله قد استوزر جماعة من النصارى منهم عيسى بن فرخانشاه[1] .

كما أن في العصر العباسي كان للمستكفي كاتب نصراني مثل طازاد[2]، كما اتخذ طبيبا نص ارنيا يدعى يوحنا بن بختيشوع ، إن عقد الذمة هو عقد بين الدولة الإسلامية ومجموعة من رعاياها لهم دين آخر، حددت بموجبه حقوق كل من الطرفين وواجباته، تقع على كل فرد باستثناء النساء والأطفال والرقيق والرهبان والعميان وغير القادرين[3].

وهكذا سجلت الأحداث الماضية أن المسيحيين عاشوا دائما في كنف الدولة الإسلامية عيشة هادئة هانئة، والشاهد في ذلك عندما بعث ثيودسيوس بطريريك ببيت المقدس رسالة إلى زميله إجناتيوس بطريريك القسطنطينية والتي امتدح فيها المسلمين وأثنى على قلوبهم الرحيمة وتسامحهم المطلق.

[1] المسعودي أبي الحسن بن علي، **مروج الذهب و معادن الجوهر**، مرا: كمال حسن مرعي، بيروت، 2005، ص 108 .

[2] جان موريس فييه، المرجع نفسه، ص 200 .

[3] حسين العودات، **العرب النصارى عرض تاريخي**، ط 1، الأهالي للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، 1992، ص 66.

5- أهمية بلاد المغرب عند الغرب المسيحي:

أخذت إفريقية مكانة ذات أهمية بالنسبة للكنيسة والعالم المسيحي، ارتبطت بعدة جوانبدينية، سياسية، إقتصادية واستراتيجية.

5-1- من الناحية الدينية :

إكتسبت أهميتها المتمثلة في أمرين هما: الدور الكبير الذي لعبته إفريقية في سبيل نصرة المسيحية بصفة عامة والمذهب الكاثوليكي خاصة، ثم المكانة التي احتلها وتميزت بها كنيستها بين الكنائس المسيحية الأخرى[1]، برزت المسيحية في بلاد إفريقية خلال القرن الثاني بالخطاب الذي ألقاه القديس ترترليانوس المشهور حيث يقول: (نحن لم نخلق إلا البارحة، ومع ذلك أصبحنا نملأ كل مكان)[2].

وهكذا ظل الرهبان ينشطون نشاطا واسعا حيث لعبت الكنائس وسطا صالحا للاتصال والتفاهم لذلك وفق الرهبان فيما عجز عنه الحكام، كذلك أسهمت إفريقيا في الخلافات المذهبية التي ظهرت في العلم المسيحي، أثناء اعتراف الإمبراطور قسطنطين بالديانة المسيحية فقام بإصدار مرسوم ميلان الشهير سنة(313م) معترفا بوضع الديانة المسيحية كإحدى الشرائع المسموح باعتناقها داخل الإمبراطورية[3] .

بما أن كنيسة إفريقية احتلت مرتبة سامية في العالم المسيحي فإنها تعد إحدى الكنائس الأولى الست التي تأسست في العالم هذا من ناحية، ومن جانب آخر ما قدمته للمسيحية من فقهاء ومفكرين كانوا من أبرز آباء الكنيسة، ومن أشهرهم القديس ترتوليان أسقف[4] قرطاجة الذي عرف بكتابه" الدفاع عن المسيحية"، ومونيسيوس فيلكس وكل كتاباته موجهة

---

[1] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، **الحروب الصليبية في شمال إفريقية و أثرها الحضاري سنة 668 – 792 هجرية 167 – 1390 ميلادية**، ط 1، دار عمار، الأردن، 1998، ص 57 .

[2] أحمد صفر ،**مدينة المغرب العربي في التاريخ عشرون قرنا من تاريخ إفريقية من عصور ما قبل التاريخ إلى آخر العهد البيزنطي**، ج 1، د ط، دار بوسلامة، تونس، 1959، ص 374 .

[3] سعيد عاشور، و إسمت غنيم ،**تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، ص 37 .

[4] عبد العزيز الدولاتي، **تونس أعلام و معالم**، د ط، الوكالة القومية للتراث، د ب ن، 1997 م، ص ص 71.

للرد على معارضي المسيحية[1]، إلا أن أهم هؤلاء القديس أوغسطين كان عبقري وفذ وقد تمكن بفضل نبوغه ومقدرته في ميادين المجادلة والخطابة والتحرير من بعث روح الحياة الجديدة في الكنيسة الإفريقية.

5-2- الناحية السياسية:

لعبت دوار هاما في صنع تاريخ الإمبراطورية الرومانية فكان من يسيطر على شؤونها يكون له صوت مسموعا في الحكم الروماني وعلى سبيل المثال الصراع الذي نشب بعد الإمبراطور دقلديانوس، إذ استغل حاكم إفريقية دوميسيوس الإسكندر هذه الأزمة وأعلن نفسه إمبراطوار سنة (301م)، ومع أن ماكسينوس بن مكسيميانوس استطاع التغلب على هذه الحركة فهذا يدل على مدى أهمية إفريقية بالنسبة للإمبراطورية[2] .

و في العهد البيزنطي تعرضت الإمبراطورية في القسطنطينية للهجوم الفارسي فاستنجدوا بوالي إفريقية اركليوس عارضين عليه عرش الإمبراطورية، ولكبر سنه حمل إبنه هرقل المسؤولية فأرسله على رأس جيش إفريقي باتجاه القسطنطينية فحالفه النصر على الفرس[3].

5-3- الناحية الإقتصادية:

تميزت إفريقية إقتصاديا على خلاف بلدان المنطقة الشمالية من البحر المتوسط بتجانس المناخ والموارد المائية فهي تحظى بمكانة فائقة على الصعيد الإقتصادي[4]، وفي عهد السيفريين وحتى بعد ذلك العهد بلغت إفريقيا درجة عالية من الإزدهار والقوة .

فقد كثرت المنتوجات من قموح وزيوت وخمور عمت كل البلاد، وأفادت روما بالدرجة الأولى من هذا الازدهار الذي وفر لها قسما من القموح لإطعام عامة الشعب[5]، كما اعتمدت

---

[1] عبد العزيز الدولاتي، المرجع نفسه، ن ص .

[2] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 73 .

[3] نفسه، ص 60 .

[4] عبد العزيز الدولاتي، المرجع السابق، ص 31 .

[5] محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص ص 43 – 30 .

أوروبا عليها في سد حاجياتها من زيت الزيتون[1]، حتى أن بعض المؤرخين أطلقوا على القرن الثاني للميلاد "قرن الزيتون"[2] فقد استشهدنا مما روته بعض المصادر التاريخية كابن عبد الحكم: (أن عبد الله بن سعد هو الذي افتتح إفريقية... وأنه كان يوضع بين يديه الكوم من الورق فيقال للأفارقة من أين لكم هذا قال : فجعل إنسان منهم يدور ... وجد زيتونة فجاء بها إليه فقال من هذا نصيب الورق، فقال وكيف ؟ قال إن الروم ليس عندهم زيتون فكانوا يأتوننا فيشترون منا الزيت فنأخذ هذا الورق منهم)[3] .

واعتبرت إفريقية منفذا هاما لمنتجات قلب أوروبا مثل الذهب والعاج وريش النعام وخشب الأبنوس والصندل والرقيق والحيوانات، واستمر هذا المنفذ في القيام بدوره حتى الفتح الإسلامي.

5-4- الناحية الإستراتيجية:

تميزت إفريقية بموقعها الإستراتيجي مما جعلها محل اهتمام أوروبا، وأنها الأرض الخلفية لمدينة قرطاج، فكانت إفريقية هي العدوة الجنوبية للمضيق الهام في وسط البحر الأبيض المتوسط وأن من يسيطر على إحدى عدوتي هذا المضيق لابد وأن يعمل للسيطرة على العدوة الأخرى فهي بمثابة عورة أوروبا الغربية وخط الدفاع الأول عنها لذلك لا يمكن أن تقبل أوروبا الغربية التنازل عنها بسهولة أو السماح لقوة معادية بالسيطرة عليها، لأن في ذلك الخطر الأكيد عليها، والعدوة الشمالية لهذا المضيق توجد روما مركز المسيحية الكاثوليكية[4] .

---

[1] عمار عمورة، **الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962م الجزائر عامة**، ج1، د ط، دار المعرفة، الجزائر ، 2006، ص 47 .

[2] محمد حبيب بشاري، **روما و زارعة المقاطعات الإفريقية بين 146 ق.م و 285**، د ط، دار الهدى، الجزائر ، 2015، ص ص 196 – 197 .

[3] ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 81.

[4] ممدوح حسين و مصطفى ،المرجع نفسه، ص 84 .

6- إنتصار مسلمي المغرب ووصول الفتوحات الى وصقلية :

كانت أولى تجارب المسلمين لغزو صقلية في أيام معاوية بن أبي سفيان والاستيلاء عليها قال ابن خلدون: (غزا معاوية ابن حديج الكندي أيام معاوية بن أبي سفيان صقلية وكان أول من غزاها)[1]، وبعد ذلك تتابعت الحملات التي كانت تغير على صقلية إلى أيام عبد الله بن الحبحاب(114هـ/732م)[2] .

أما في عهد زيادة الله بن الأغلب بدأ الفتح الحقيقي لصقلية سنة إثنتي عشرة ومائتين فجهز جيشا في البحر وسيرهم إلى جزيرة صقلية بقيادة أسد ابن الفرات قاضي القيروان، وذلك نظرا لأوضاعها الداخلية بسبب السياسة المالية التي فرضها حاكمها البيزنطي بيلاتوس على السكان فكانوا في تذمر عليه، ففكر زيادة الله بن الأغلب ومقربيه الشروع في تنفيذ غزو صقلية[3].

و كان الإبحار من سوسة بخروج القائد الأسد مع جيشه يوم السبت النصف من شهر ربيع الأول سنة إثنتي عشرة ومائتين، ورست سفن الأسطول الإسلامي على ساحل صقلية في ميناء مازر ونزلت قوات المسلمين حيث لم يجدوا مقاومة تذكر، وسار على رأس جيشه إلى شرق الجزيرة لمقابلة الروم فاشتد القتال بين الفريقين وانهزمت الروم لكن عند حصار المسلمينلسرقوسة تفشى فيهم الوباء وتوفي أسد بن الفرات في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة ومائتين وظل المسلمون في تلك الظروف محصنين في بلدة مناو إلى أن تفاجئوا بدخول نفر من الأندلسيين بقيادة قائد يسمى أصبغ بن وكيل المعروف "بفرغوش" فأسرع وهاجم الصقليين والروم، ثم فتح سرقسطة لكن الوباء تفشى فيهم للمرة الثانية تمكن زيادة الله من إرسال قائد جديد وهو أبو فهر الأغلبي وقاد الحملة بنجاح ودخل بلرم ثم توفي وتولى بعده أخوه أبو غالب فأتم فتح على العاصمة.

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 468 .

[2] ابن عذارى، المصدر نفسه، ص 46 .

[3] ابن الأثير، المصدر السابق، ج 1، ص 037 .

واستقر الأمر للمسلمين في الجزء الغربي من الجزيرة إلى أن جاء عهد إبراهيم بن أحمد الأغلبي الذي تمكن من التقدم في الشمال والشرق، وأخذ الإسلام ينتشر في كل مدن الصقليتين[1].

[1] حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب و الأندلس**، ص ص 103 – 100 .

الفصل الثاني:

المشاريع والحروب الصليبية في افريقية

1- نشاط حركة التنصير في شمال إفريقية

إن جذور حركة التنصير في شمال إفريقية لم تظهر فجأة في القرن (السابع هجري/الثالث عشر للميلاد)، بل إنها تعود إلى ما قبل ذلك الوقت بكثير بيد أن المسيحية كانت مزدهرة في إفريقية قبل الفتح الإسلامي لها وأنها مثلت إحدى المراكز الهامة لهذه الديانة، لذا كانت تتحين الفرصة دائما لبعث أمجاد المسيحية فيه من جديد، فحالة الضعف التي سادت أواسط القرن(الحادي عشر للميلاد) قد هيأت الفرصة للبابوية لتنفيذ مخططاتها[1]

كانت بداية نشاط هذه الحركة بناءا على الرسالتين المرسلين من طرف البابا جريجوري السابع في سنة1076 م إلى مسيحيي بونة (عنابة) وخاصة الرسالة الثانية[2]يطلب من هؤولاء المسيحيين أن يصبحوا منصرين ويبثوا الدعوة المسيحية بين المسلمين[3].

كما بنت المسيحية آمالها على[4] النورمان الذين احتلوا صقلية وبدأ تطلعهم للاستيلاء على الشمال الإفريقي لتنصيره ولكن بظهور الموحدين استطاعوا التصدي للنورمان وطردهم من المهدية جعل الظروف غير مواتية لاستئناف الجهود التنصيرية فيها، وما إن دب الضعف في الدولة الموحدية منذ أوائل القرن (السابع هجري/الثالث عشر للميلاد)، حتى عادت الحركة الصليبية لإحياء جهودها التنصيرية في إفريقية معتمدة على جهود منظمتي[1] الفرنسيسكان والدومنيكان المتوافدين لإفريقيا لتحقيق هذا الهدف[2] .

و من بين أولئك الرهبان فرانسيس الأسوزي (سان فرانسوا)الذي قابل ألفونسوا الثامن ملك قشتالة في سنة 1213 لمساعدته على السفر إلى بلدان المغرب الإسلامي وكان يأمل في تنصير عاهل الدولة الموحدية، ولكن مرضه اضطره لتغيير خططه والعودة إلى ايطاليا وكان فرانسيس هذا قسم العالم الغير مسيحي سنة 1219 إلى سبعة أقسام ووزع عليها رهبان

1 ممدوح حسين و مصطفى شاكر ، المرجع السابق، ص 101 .

2 المرجع نفسه، ص 101

منظمته للعمل على تنصيرها[1]، وبهذا تشكلت خمس بعثات تنصيرية أرسلت إلى كل من اسبانيا والمغرب الأقصى وافريقية في حين ترأس بنفسه البعثة المتجهة إلى مصر والشام، أما البعثة التي أرسلت إلى إفريقية برئاسة الراهب جيلز الأسيزي قد أفرطت في الدعوة للمسيحية بين المسلمين مما أثارهم عليه، فاضطر مسيحيو إفريقية لإجبارهم على مغادرة البلاد[2].

ومن المنصرين أيضا حنادي ماتا الذي زار إفريقية مرات عديدة وأسس في تونس كنيسة صغيرة ومستشفى صغير.

ومن الجدير بالذكر أن الحركة التنصيرية استأنفت نشاطها مستغلة تسامح أبي زكريا الأول وفترة الانتقال من تبعية إفريقية للدولة الموحدية إلى الاستقلال عنها وتأسيس الدولة الحفصية، ثم رغبة عبد العزيز الحفصي في التنصر، ففي سنة 1236م هرب عبد العزيز ابن أخ الأمير أبي زكريا الأول الحفصي من إفريقية إلى صقلية ويقال أنه في طريقه إلى التنصر على يد البابا أوقفه فريدريك الثاني في صقلية وحال دون متابعة سيره إلى روما، وما إن أقام عبد العزيز في صقلية بعض الوقت حتى صرف نظره عن فكرة التنصر .

وفي آواخر العقد الرابع من القرن الثالث عشر للميلاد أظهر البابا الإسكندر الرابع ميله لدعم جهود المنصرين الدومنيكان في إفريقية في رسالة بعث بها إلى رئيس تلك المنظمة يأمره بإرسال المزيد من هؤلاء إليها، وقد جرت اتصالات بين الدومنيكان وخايمي الأول ملك أرغونة الذي اتصل بالمستنصر الحفصي وطلب منه السماح للدومنيكان بتأسيس مدرسة في مدينة تونس لتعلم الرهبان اللغة العربية، فوافق على ذلك[3] .

---

1 روبار برنشفيك، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 01 إلى نهاية القرن 05م**، تر : حمادي الساحلي، ج5، ط5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002، ص 127 .

2 ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 107 .

3 روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص ص 126 – 160 .

و عند استلام همبرت الرومانسي رئاسة منظمة الدومنيكان سنة 1254م أخذ في تعزيز المنصرين الدومنيكان في إفريقية ببعثات تنصيرية جديدة أرسلها إليها، ثم توجهت هذه الجهود بظهور منصر آخر يعد من أشهر المنصرين في القرن الثالث عشر للميلاد وهو رومان مارتي الملقب بخنجر الإيمان المسلول على المسلمين واليهود 1236 القطلاني الأصل، فانظم إلى منظمة الدومنيكان ثم أرسل إلى تونس حيث تعلم اللغة العربية وكان على صلة بالمستنصر كما كان على اتصال بلويس التاسع ملك فرنسا الذي يعتقد أن اتجاهه إلى إفريقية كان بوحي منه لتنصير سلطانها[1] .

ولابد من الإشارة أيضا إلى نشاط رهبان منظمة "عذ ارء الرحمة" الذين كانوا يجوبون أرجاء المغرب بحثا عن الأسرى ويمارسون نشاطهم التنصيري، ثم جاءت معاهدة الصلح بين لويس والمستنصر 1270م لتفتح أمام القائمين على هذه الحركة لبدل المزيد من الجهود التنصيرية.

1 ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص ص 156 – 151 .

2- مشاريع الصليبية:

أولا/ مشروع هيثوم:

وهو أمير أرميني من (كرشي) وهي ثغر بحري على الشاطئ الجنوبي لأسيا الصغرى بإزاء جزيرة قبرص، وعندما فتحت جيوش المماليك بلاده فر منها، لاجئا إلى البابا كلمنت الخامس، ثم رحل[1] إلى فرنسا وأضحى مقدم دير في برايمونست رانت قرب بواتييه.

ونظرا لكون هيثوم أحد المختصين بشؤون الشرق والمطلعين على أوضاعه فقد كلفه البابا كلمنت الخامس بإعداد دراسة وافية عن متطلبات الحملة التي أعلن فيليب الرابع ملك فرنسا عن رغبته في القيام بها وطريق سيرها.

ألف هيثوم كتابه في سنة 1307 المعروف باسم FLOSHISTORIORUM TERRE ORIENTIS[2] كتبه باللاتينية وضمنه مشروعه لاسترداد الأراضي المقدسة أوصى هيثوم بتوجيه حملة مزدوجة تسير بحرا، وأرى أن تسلك الحملة إحدى الطرق التالية : إما الطريق البري، أو البحري، ثم يذكر إفريقية كطريق ثالث لهذه الحملة ويرى بالنسبة لسلوك هذا الطريق ضرورة استشارة المختصين في شؤون إفريقية لتقديم معلومات وافية عنه نظرا لأنه لم يكن لديه الإطلاع الكافي الذي يتيح له إبداء رأيه في هذا الطريق، وبذكره إفريقية في مشروعه بعث الحياة إلى فكرة لويس التاسع من جديد مما جعلها تظهر في مشاريع صليبية تالية بشكل أوضح[3] .

1 ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق ،ص ص 771 – 771 .

2 ستيفن رنسيمان، المرجع نفسه ،ن ص.

3 مصطفى، نفسه، ص 771 .

ثانيا/ مشروع ارمول لول:

قد وصلت الجهود التنصيرية ذروتها بوصول الراهب الفرنسيسكي ارمول لول إلى إفريقية آواخر القرن (السابع الهجري/الثالث عشر للميلاد)، والذي يعد من أهم دعاة التنصير في العصور الوسطى الذي قام بدور البطولة في تلك المحاولات المتجددة لغرس الديانة المسيحية من جديد في صفوف سكان البلاد المغربية[1]ولد في ميورقا[2]سنة 1232.

و قد عاصر فترة ضعف الصليبيين ثم انهيار دولتهم في بلاد الشام فتملكته فكرة وضع نفسه في خدمة الحركة الصليبية اتخذ هذا القرار سنة 1263م ومن أجل تحقيق ذلك تعلم اللغة العربية اللازمة له لمناظرة المسلمين ونقل حججه وآرائه إليهم مباشرة.

فأجاد التفاهم بها وفعلا قام بمهمته التبشيرية الأولى في شمال إفريقية سنة 1292م وعند وصوله إلى تونس أخذ في نشر دعوته علانية حول مبادئ العقيدة المسيحية ولم يلبث أن إتهم ارمول لول بلاد الحفصيين بالشرك والحض على الكفر ،فحكم عليه بالإعدام، لولا تدخل مثقف حكيم من الأهالي لحكم عليه بالإعدام.

وأشعر بقرار الطرد الذي اتخذ ضده وهدد بالرجم فغادر البلاد على مركب جنوي، ويبدوا أن الفشل الذي صادفه مرات عديدة كان له تأثير قوي على نفسه بدا واضحا في كتابه المسمى "كتاب النهاية" الذي يحوي بالتفصيل أفكاره وعرض منهجا يصح ممارسته من الناحية العملية وكان برنامجه لا ينفي أبدا احتمال التدخل العسكري بل بالعكس من ذلك فقد كان يرى وجوب الاستعداد للكفاح المسلح ضد المسلمين بوسائل خاصة ولكنه بوصفه رجل علم كان يرى أن مهمته هو وأتباعه تتمثل في الدعاية السلمية ضد العقيدة الإسلامية وتعاليم

1 روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص 160 .

2 ستيفن رنسيمان، المرجع السابق، ص 761 .

علمائها، نلاحظ أن ارمول لول يجمع بين الأسلوب العسكري والسلمي أي وجهين لعملة واحدة .

كما احتوى كتابه على مشروع صليبي متكامل هو خلاصة آرائه ومقترحاته وتناول الطرق التي يمكن للحملة سلوكها للوصول إلى الديار المقدسة ويحددها بخمسة طرق .

ولم يرجع لول إلى بلاد المغرب إلا بعد خمسة عشرة سنة[1]، فنزل ببجاية في سنة 1307م واستمر يعمل بها على خطته المعهودة في نشر دعوته التبشيرية معلنا عداوته للإسلام فطرد منها ثم عاد إليها مرتين وتوفي وهو على ظهر سفينة عائدا منها إلى بلده مايورقة يوم 01 ربيع الأول 1315م[2].

ثالثا/ مشروع بروكارد:

لقد بلغت الحماسة الدينية لدى الملوك الذين اعتلوا عرش فرنسا في العقود الأولى من القرن الرابع عشر للميلاد، ومنهم فيليب السادس دي فالوا1350 م

فقد كان متلهفا لاستئناف الحرب الصليبية ضد المسلمين فضلا عن أنها لقيت التشجيع من البابا يوحنا الثاني جراء هذا الحماس والرغبة وفي ذلك أصدر مرسومين فالأول يتضمن دفع ضريبة العشر لتمويل الحملة، والثاني يمنحه وكافة المشاركين جميع الصلاحيات والإمتيازات التي تمنحلقادة الحملات عادة .

وعند شيوع خبر الحملة في أوروبا الغربية تقدم العديد من المختصين بتقرير إلى الملك الفرنسي ليستفيد منها ومن هؤولاء بروكارد الذي أمضى في المشرق مدة أربع وعشرين سنة امتدت من 1308-1332م

1 روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص 165 .

2 عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج 6، ص 506 .

وقد تضمن تقريره مقدمة يصف فيها سرور نصارى الغرب وغبطتهم لسماعهم بأن الملك الفرنسي قد قرر أن يحمل رأي ة المسيح ليحارب أعداءه ويسترد الديار المقدسة ثم يقول أنه لا يملك شيئا لتقديم المساعدة في تلك الحرب، إلا أنه بإمكانه تقديم المعلومات والنصائح التي تفيد الملك في هذه الحرب وبعدها يأتي على القسم الأول من التقرير يعدد أهداف الحركة الصليبية[1] .

و يتطرق بروكارد بعد ذلك لد ارسة الطرق المؤدية إلى الشرق فيعدد أربع طرق رئيسية منها الطريق عبر إفريقية إلا أن بروكارد مع ذكره لهذا الطريق الذي يؤدي إلى المشرق لكنه على عكس ارمول لول، فلم يحبذ استخدامه فهو يرى أن هذا الطريق شاق وطويل[2] .

و فسر بروكارد طول الطريق يؤدي حتما إلى الدخول في حروب كثيرة ومريرة ضد المماليك الإسلامية التي تمر منها، فضلا عن مواجهة القلاع والمدن الحصينة الكثيرة في كل من المغربين الأقصى والأوسط وافريقية، وحتى لو نجحت الحملة في التغلب على هاته العقبة وهو أمر مستبعد كما يقول، فسيكون صعب عليها إجتياز الصحراء الليبية القاحلة التي يصعب على المخلوقات تحمل قسوتها، وان كان كذلك فبوصولها إلى وادي النيل فإنها ستجد سلطان مصر قد أعد عدته لمواجهتها وسحقها، لذلك يعتقد أنه هناك أمل في نجاح هذه الحملة وبناءاعلى هذه المعطيات يرى أنه ليس هناك مبرر لحملة لويس التاسع على إفريقية، و على الرغممن وفرة اقتراحات بروكارد فإنها لم تكن بالغة النفع ولم توضع خططه للإختبار[3]

1 ممدوح حسين، و مصطفى شاكر ،المرجع السابق، ص ص 776 – 777 .

2 منى فاخر النائب، المرجع السابق، ص 566 .

3 ستيفن ارنسيمان، المرجع السابق، ص 772 .

رابعا: مشروع فيليب دي ميزيير:

ولد فيليب دي ميزيير ما بين سنة 1327م في مقاطعة بيكاردية، و في قبرص التقى مزيير بداعية صليبي وهو بطرس دي توماس وكان مزيير قد اشترك معه في نشاطه الصليبي، كما عمل مستشارا لديه[1]، وقد قضى فيليب سنوات عمره الأخيرة في الكتابة من أجل الدعوة لخططه الدينية العسكرية والتي أطلق عليها اسم "militia passionis jhesu christi"، وكان يحلم بخلق إخاء عسكري موحد في كل أنحاء أوروبا أملا في استرداد الأرض المقدسة[2] .

كما ضم مشروعه الصليبي في كتابه المسمى" songe du vieil pelerim" الذي ألفه سنة 1379م حيث تناول فيه طريق إفريقية واقترح على الصليبيين سلوكها للوصول إلى المشرق[3] وذلك باتباع كل فريق من الفرنجة طريقا معينا للوصول إلى الشرق بحيث يجب أن يكون الطريق الذي يسلكه صليبيو إسبانيا وأراغونة ونافارا هو طريق شمال إفريقية.

و الملاحظ هنا أن هذا الاقتراح يصيب هدفين، فالأول ضرب المسلمين في عدة جبهات في آن واحد والثاني نتيجة للأول أي بذلك يتم تشتيت قوى المسلمين، فينشغل كل بلد إسلامي بما يحيط به من خطر، مما يسهل على الصليبيين الإنتصار عليهم، ولكن هذه الإقتراحات والأفكار لدى فيليب دي مزيير لم تنفذ إلا ما تعلق بإفريقية، ففي العام التالي وضع هذا المشروع سنة 1390م قام لويس الثاني دي بورمون بحملة على المهدية .

1 بيترو. إديوري، **قبرص و الحروب الصليبية**، ط 5، دار الملتقى للطباعة و النشر، بيروت، 2007، ص 572 .

2 عزيز سوريال عطية، المرجع السابق، ص 60 .

3 ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع نفسه، ص ص 723.

خامسا: مشروع شارل الثاني:

في غمرة الجهود التي بذلها البابا نيقولا الرابع لإعداد حملة صليبية جديدة إثر سقوط عكا بيد المسلمين سنة 1291م تقدم شارل الثاني إلى ذلك البابا بالمشروع الصليبي الذي عرف باسمه والذي قام على دعامتين رئيسيتين أولاهما استرجاع إمبراطورية حميه في القسطنطينية، والثانية هي العدول عن قتال المسلمين بالسيف إلى محاربتهم اقتصاديا وتعميم هذه الحروب على كافة البلاد الإسلامية [1].

ففي اعتقاده أن نزول الجيوش الأوروبية على بلاد المسلمين تقع تحت تأثير المناخ القاسي والذي سيؤدي بدوره إلى فشلهم ولذلك يرى أن الأجدر والأولى قطع الطريق على تجارة المسلمين واعداد الأساطيل اللازمة لهذا الغرض تكون خاضعة لقيادة موحدة حتى إذا ما كسدت تجارتهم وانهاروا اقتصاديا فسوف لن تكون لديهم القدرة على مدافعة الصليبيين عن بلادهم، واذا كان شارل الثاني لم يخصص إفريقية بالذات في هذا المشروع بل كان هدفه تعميم الحصار على المسلمين، فبمراجعة بسيطة لنوايا حكام الصقليين تجاه إفريقية ومطامعهم فيها منذ عهد النورمان وحتى نهاية العصور الوسطى يتضح أنها أولى البلاد الإسلامية المعنية بهذا الحصار.

1 ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع نفسه ص 725 .

سادسا/ مشروع مارينو سانودو:

كان مارينو سانودو الأكبر مفكرا عاقلا قضى معظم حياته في الشرق وكان من سلالة ناكسوس دون البندقية في الأرخبيل وجل مناقشاته مبنية على مستوى عال من الإعتبارات الإقتصادية[1].

وقد اعتبرت أفكار مارينو أكثر وضوحا من شارل الثاني فقد أعد مشروعه الذي ضمن فرض الحصار الإقتصادي على إفريقية في كتاب سماه "سر الصليبية المخلص" وأهدى الطبعة الأولى منه للبابا كليمنت الخامس في سنة1309 م كما أهدى الطبعة الثانية لملك فرنسا شارل الرابع[2] .

لقد عالج سانودو في هذا الكتاب أمر تشكيل حملة صليبية ناجحة فوضع مسألة إضعاف دولة المماليك إقتصاديا في المقام الأول ولن يتحقق ذلك إلا بتواجد أسطول قوي أمام سواحلها لفرض الحصار وتعميمه[3] ليشمل إفريقية ومملكة غرناطة وسلطنة الأتراك هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية رأى أنه من الضروري التخلي عن أسواق المسلمين واتباع سياسة إنتاج السلع كالقطن مثلا الذي يزرع في مصر يمكن الاستغناء عنه بزرعه في قبرص وروردس ومالطة وغيرها، وبذلك يضعف أمر المسلمين ويصبح الاستيلاء على بلادهم بالقوة العسكرية أمرا يسيرا

والملاحظ هنا أن مارينو لم يستثن من مشروعه استعمال القوة العسكرية أي أنه جعل نجاح الحصار الإقتصادي أساس ضمان فكرة القوة العسكرية في تحقيق أهدافها، ففيما يتعلق بإفريقية في هذه الناحية يتفق سانودو مع رامول لول في أن قسما من الحملة الصليبية

1 عزيز سوريال عطية، المرجع السابق، ص 21 .

2 عزيز سوريال عطية، المرجع نفسه، ص 27 .

3 عزيز سوريال عطية، نفسه ،ن ص .

المرتقبة يجب أن يبدأ زحفه من الأندلس برا وبحرا، ثم يعبروا مضيق جبل طارق إلى سبتة ومنها إلى إفريقية التي تكون قد ضعفت عن المقاومة بالحصار المفروض عليها ومرورا بتلمسان وبذلك يتم الإستيلاء على إفريقية، وظل يعمل بنشاط في سبيل ذلك إلى أن توفي سنة 1343م دون تحقيق أهدافه من هذا المشروع[1] .

و نستنتج مما سبق أن الظروف والأوضاع التي مرت بها شمال إفريقية أدت إلى انقلاب موازين القوى لصالح الغرب المسيحي، فالصحوة التي شهدتها أوروبا أواخر القرن (الخامس هجري)على مختلف الأصعدة من جهة، واصلاح الكنيسة من ناحية أخرى، فتح الباب على مصراعيه للغزو الصليبي باسم الدين والصليب، وهذا الدافع لم يكن إلا ستارا متخفيا وارء دوافع متعددة، فبالرغم مما قامت به جهود التنصير المكثفة بمباركة البابوية في شمال إفريقية ووضع المشاريع العسكرية والاقتصادية في سبيل إنجاح هذه الحركة، إلا أن هذه الجهود لم تسفر عن أي نتيجة

1 ممدوح حسين، و مصطفى شاك رالمرجع السابق، ص ص 727 – 721 .

3- صليبية لويس التاسع على إفريقية

3-1- تخطيط لويس التاسع للحملة ومسيرها إلى تونس:

بعد الهزيمة التي مني بها لويس التاسع بمصر، حيث اعتقل في دار القاضي فخر الدين إبراهيم بن لقمان في مدينة المنصورة.

ويبدو أن هذه الهزيمة كفيلة في رغبة لويس للعودة ومحاربة المسلمين والثأر منهم .

قرر لويس الاتجاه بحملته الجديدة إلى تونس، ولحد الآن لا يعرف التاريخ سببا واضحا لتغيير اتجاه حملته من المشرق إلى شمال إفريقية، خاصة وأن أمير تونس المستنصر بالله الحفصي كانت تربطه علاقات طيبة مع الحكام المسيحيين في أوروبا قبل الحملات الصليبية أخذ لويس التاسع على عاتقه مهمة إنجاح الدعاية لها وبالتالي انضم عدد كبير من الأمراء والبارونات والمتطوعين، ولإنجاح الحملة الدعائية استخدم عدة أساليب كتقديم المعونات المالية للفقراء والمحتاجين، وقدم وشاحا طبع عليه علامة الصليب ففهم الجميع أنه لابد من الانصياع لرغبته في الانخراط بسلك الحملة[1]، كذلك اعتمد على المنصرين.

انتهز لويس إحدى المناسبات الدينية ودعا إلى اجتماع عام اتخذ المجتمعون قرارا بمراقبة إحياء شعائر الدين واقامة الصلوات والتوقف عن الاحتفالات والمباريات الرياضية لإعداد المهمة الجديدة في خدمة الحركة الصليبية وتكليف رئيس الوعاظ في فرنسا للدعاية[2]، فبعد هذه الحملة الدعائية ماذا كان موقف البابا ؟

أرسل الملك الفرنسي إلى البابا كليمونت الرابع مظهرا رغبته في الإشتراك شخصيا في هذه الحملة ومتمنيا موافقته عليها، لكن البابا رفض في البداية، وبعد وصول خبر الرفض أصر

1 منى فاخر النائب، المرجع السابق، ص 70 .

2 المرجع نفسه، ص 71 .

لويس في رسالة أخرى على موقفه في الإشتراك بالحملة فوافق البابا وأرسل إليه نائبا عنه هو الكردينال رودولف دي البانو ليسلمه الصليب ثم مرافقته في الحملة كنائب بابوي.

أما بالنسبة إلى تمويل الحملة فالكنيسة شغلت دوار مهما في تمويلها، حيث وزعت الأموال على النبلاء وطالبتهم بسرعة إعداد القوات المطلوبة وفرضت إتاوات على عدة جهات لتقدم للملك الفرنسي المساعدة في تحمل عبء المصاريف، كذلك فرضت الكنيسة عدة ضرائب كرست للهدف نفسه وهذا يدل على موافقة البابوية ومشاركتها المعنوية والمادية للإعداد للحملة.

أما بالنسبة لموارد الحملة فكانت مما يلي:

- فرض ضريبة العشر لمدة ثلاث سنوات بالرغم من المعارضة والاستنكار الذي وجهت بهتلك الضريبة من قبل الكثيرين.
- فرض ضريبة جديدة على أفصاله الإقطاعيين.
- رصد الأموال العائدة من هدايا المدن ورسوم القضايا الجنائية والمدنية لهذا المشروع[1] و بعد حصول لويس على موافقة البابا دعا لانعقاد اجتماع في باريس بقصر اللوفر بحضور الملك ونائب البابا ، حاملا بيديه إكليل الشوك وقطعة خشب الصليب الأصلي بهدف التأثير بهم، ثم ألقى البابا خطبة أعلن فيها نيته بحمل الصليب وقيادة حملة صليبية ودعاهم إلى الانضمام إليهم ثم تلاه نائب البابا حيث ألقى هو الآخر كلمة وعظ حث الجميع على متابعة الملك ثم سلم الصليب للملك ومن تم دعا الجميع لحمل السلاح والاستعداد لإنقاذ الأراضي المقدسة من المسلمين[2]، مصحوبا بأبنائه الثلاث وابنته إيزابيلا وصهره وغيرهم من زعماء أوروبا الغربية.

1 ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص ص 303 – 302 .

2 ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، نفسه، ص ص 308 – 308 .

كذلك شارك في الحملة عدد كبير من فرنجة الشرق الذين وصلوا إلى تونس من عكا بأعداد كبيرة، وامدادات ضخمة وعدد كبير من السفن وقرابة إثنين وثلاثين فارسا، ثم دخل لويس التاسع في مفاوضات مع البندقية وجنوى لاستئجار الأسطول اللازم حيث انتهت المفاوضات.

بعقد اتفاقية مع جنوى لهذا الغرض وكان من بنودها أن للملك الحق في أن يتوقف في أي ميناء لمدة لا تتجاوز الشهر ويمكنه الاحتفاظ بالأسطول إلى ما بعد الشتاء مقابل دفعة إضافية مقدارها خمس المبلغ الأساسي المتفق عليه، وقد تم إعداد ميناء إجمورت ليكون نقطة إنطلاق الحملة[1] .

و عندما وصلت أخبار الحملة إلى المستنصر بدأ في الاستعداد لمواجهتها فقام بالاستكثار من العدة وأرسل إلى الثغور لإصلاح الأسوار واختزان الحبوب كما أنه بادر إلى إرسال سفارة إلى بلاط لويس التاسع تحمل ثمانين ألفا لاسترضاء لويس فيقول ابن خلدون : (و أوفد السلطان رسله إلى الفرنسيس لاختيار رجاله ومشارطته على ما يكف عزمه وحملوا ثمانين ألفا من الذهب لاستتمام شروطهم فيما زعموا، فأخذ المال من أيديهم وأخبرهم أن غزوه إلى أرضهم فلما طلبوا المال اعتل عليهم بأنه لم يباشر قبضه)[1]، وهذا دليل واضح على نيته منذ البداية كانت التوجه إلى تونس.

1 ابن خلدون، المصدر السابق ،ج 1، ص 031 .

4- انطلاق الحملة:

إنطلق لويس من باريس باتجاه أجمورت وهناك انتظر وصول بقية القوات فمدة الانتظار هذه ستؤثر سلبا على وضع الحملة، كما سيمر لاحقا وحدثت صدامات في أجمورت بين التجار والجنود وقد ذهب ضحيتها مئة شخصا من الفرنجة وأهالي المدينة الأمر الذي أوقع لويس في حيرة، هل يبقى في إجمورت ينتظر على أمل وصول بقية القوات الفرنجية ؟ أم يرحل بجيشه والفتنة على أشدها بين جنوده[1] ؟

فصدر الأمر بالرحيل إلى سردينيا وأقلع الأسطول إلى ميناء كاليرأي في سردينيا حيث اكتمل النصاب بوصول بقية المساهمين في الحملة، ومن الملاحظ إلى حد الآن أن جميع أعضاء الحملة كانوا متأكدين من تحولهم إلى المشرق الإسلامي نحو مصر أو فلسطين، لكن

لويس التاسع جمع قادته ومرافقيه على متن سفينته وطلب منهم الموافقة على تحويل وجهتهم نحو تونس[2].

و من هنا نستدل أن لويس كان عازما على غزو تونس لأن جزيرة سردينيا ليست على الطريق إلى المشرق، فقد اتخذ ق ارره قبل وقت الحملة بدليل سفارة المستنصر الحفصي التي أرسلها إلى لويس، إذ كيف يعلم المستنصر بعزم لويس على غزو إفريقية ويرسل له سفارة لمفاوضته ومحاولة استرضائه ، أي قبل اجتماع كاليراي بأكثر من عشرة أشهر .

و في سردينيا واجهت الحملة متاعب أيضا حيث قلت الأقوات مما ازد الطين بلة وازد تدهور الحملة حتى قبل وصولها إلى تونس[3]، إلا أن الخطأ الآخر الذي ارتكب أثناء رحيل

---

1 منى فاخر النائب، المرجع السابق، ص ص 77 – 78 .

2 سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوت، **أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، ط 0، دار العبيكان للأبحاث و التطوير، الرياض، 0024هـ/3448م، ص 088 .

3 منى فاخر النائب، المرجع السابق، ص 78 .

الحملة هو الإسراع في قرار الإبحار إلى تونس، فقد كان على لويس أن يعيد تنظيم صفوفه ويتفادى مشكلة قلة الأقوات بسبب طول الإنتظار في أجمورت أضف إلى ذلك إنتشار الأمراض بين رجاله وما حدث من فوضى بين الجيش، وهبوط الروح المعنوية، وعادت مشكلة الم رض لتظهر من جديد في صفوف الجيش، ثم جاءت رياح عاصفة بالقرب من تونس ازدت الوضع سوءا .

و يورد ابن أيبك الدوادراي [1] وابن تغري بردي أن مراكب الفرنج دخلت الإسكندرية[2]، لكن هذا الرأي لا يمت للواقع بصلة، ويبدو أن هزيمة لويس في مصر جعلت بعض الأقاويل تكثر بأنه جاء للانتقام لهزيمته .

و أخي ار وصل لويس التاسع إلى شواطئ تونس[3] أمام مدينة قرطاجنة العتيقة[4] في أشد أوقات صيف إفريقية حرارة، فالمناخ لعب دوره في إضعاف قوة الصليبيين فسرعان ما تفشىالمرض في المعسكر الفرنسي فاعتراهم داء الدستتريا والحمى الخبيثة .

بالنسبة لعددهم وعدد قطع الأسطول فمعظم المصادر الإسلامية لم تحدده بالضبط ،فابن خلدون يذكر: (أنهم زهاء ستة آلاف فارس وثلاثين ألفا من الرجالة وكانت أساطيلهم ثلاثمائة بين كبار وصغار وكانوا سبعة يعاسب) ، أما ابن أبي زرع فيقول : (أربعين الف فارس ورماتها مئة ألف رام، ورجالها مئة الف راجل) ، أما ابن الشماع فيذكر) : أنها جموع

1 بن أيبك الدواداري، **كنز الدرر و جامع الغرر الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية**، تح : أولرخ هارمان، ج 8، د ط، قسم الد ارسات الإسلامية، القاهرة، 1990، ص 45, .

2 ابن تغري بردي ، **النجوم الازهرة في ملوك مصر و القاهرة**، د ط، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، د س ن، ص 80.

3 الترجمان أبي محمد عبد الله الميورقي، **تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب** : تح : عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 2000، ص 112.

4 محمد المطوي، **الحروب الصليبية في المشرق و المغرب**، ص 027 .

وافرة فرسانا ورجالا ورماة) ، أما الترجمان فيقول : (نزل الإفرنسيس مدينة تونس بجموع وافرة فرسانا ورجالا) .

و بعد وصول لويس قبالة قرطاج انشغل بعلاج مرضاه الذين بدأ المرض ينتشر بينهم وينهك قواهم، حيث فشلت محاولته لشراء الدواء من تونس وهذا دليل على أن وضع الحملة كانسيئا منذ وصولها إلى تونس، فتيقن الصليبيون أن الأمور لم تحسم إلا بالقتال.

و نتيجة لما تقدم بدأ الفرنجة بالاستيلاء على خرائب قرطاج وتمركزوا فيها، حيث قام مقدم الأسطول بالتقدم لاختيار مكان النزول واتجه ببعض القوات إلى مرسى قريب من هضبة بيرصا واستولى عليه، ثم نزل البر دون مقاومة وأرسل مقدم الأسطول بالاستيلاء على المرسى .

و قد تفاوض المستنصر مع أهل الشورى من الأندلس والموحدين في تخليتهم وشأنهم من النزول بالساحل أو صدهم عنه، فأشار بعضهم بصدهم حتى تنفذ ذخيرتهم من الزاد والماء فيضطرون إلى الإقلاع، وقال آخرون : إذا أقلعوا من مرسى الحضرة ذات الحامية والعدد فيحاصروهم وينقضوا عليهم لأنهم إذا نزلوا بقربها يطوقوا بعض الثغور ويستولوا عليها فيصعب حينذاك إخراجهم ثم تقرر الأخذ بالرأي الثاني وسمح للفرنجة بالنزول في قرطاج وخلى لهم الساحل ولا يقاتلهم أحد[1] .

و في يوم الجمعة بدأ الصليبيون يشاهدون قوات إسلامية قرب الميناء ويبدو أنها للمراقبة فقط، فعقد الملك اجتماعا قرر فيه المجتمعون النزول إلى البر وبالفعل بدأت سفينة الملك تسير نحو الميناء والقوات الصليبية تغادر سفنها وتنزل بر الميناء بالقرب من حصن

1 ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 037 .

قرطاج ونصبوا خيامهم بها إلا أن هذا الموقع كان خاليا من الماء العذب فبدا غير صالح للإقامة مما دفعهم للتفكير في التحول عنه إلى مكان آخر.

وأبدوا استعدادهم للاستيلاء على ذلك الحصن باقتراح كبار الأمراء والفرسان فوافقهم لويس وتم إعداد خطة محكمة للحصار وتم الحصار برا وبحرا وتمكنوا من اقتحامها دون وجود أي رد فعل إسلامي من داخلها، وهذا يدل على سوء التخطيط العسكري من جانب المستنصر لمواجهة الموقف[1].

و قد ترتب على سقوط القلعة بهذه السرعة رفع معنويات الصليبين بصفة عامة ولويس بصفة خاصة، أيضا ترتب عليه تكوين فكرة دقيقة عن أحوال المعسكر الإسلامي ونقاط الضعف فيه، إلا أن ذلك لا يعني عدم وجود مقاومة إسلامية، فقد شن المسلمون هجوما على الجيش الصليبي عبر البحيرة فظفروا وغنموا وقاموا بحراسة البحيرة حتى يمنعوا الطريق عن العدو.

وشرع لويس التاسع بتحصين قرطاج إن تحكمهم في مينائها سيسهل عملية نفاذ المسيحيين داخل تونس نفسها وبالتالي فالمسافة بين قرطاج وتونس لا تتعدى بضعة أميال، وتكون تونس مفتوحة أمامهم ثم إن لويس لم يكتف بالسيطرة على القلعة والميناء وانما سيطر أيضا على البرج بعد سقوط عدد من القتلى لكلا الطرفين .

و هكذا ندم المستنصر على إضاعة الحزم في تخريب سور قرطاج وهذا يدل على الضعف الذي كان يشعر به أمام مجابهة الحملة[2]، بدليل ما ذكره صاحب كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار في قوله (لم يخرج بنفسه إلى لقائهم وانما اكتفى بإخراج سبعة قواد نازلوهم

1 ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص ص 381 – 387 .

2 ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 214, .

ونصبوا محلاتهم بإزاء محلاتهم)[1]، وما حدث في قرطاج أحدث قلقا في أنحاء العالم الإسلامي حيث وجه بيبرس رسالة قاسية للمستنصر يقول فيها: (مثلك لايصلح أن يلي أمور المسلمين لإنك لم تخرج لمجابهة الصليبيين عندما نزلوا قرطاجة وكنت مستخفيا)[1] .

و بلا تردد جمع بيبرس أمراء المماليك الرئيسيين وأخبرهم بنيته في الذهاب على رأس جيش قوي إلى شمال إفريقية لمساعدة المسلمين لصد هذه الحملة[2]، ثم كتب إلى عناصر العربان في برقة من أجل التقدم لمعاونة أشقائهم التونسيين من الخطر الصليبي المحدق بهم[3].

و لكن هل سيبقى المستنصر مكتوف الأيدي حيال هذا الموقف؟ من الطبيعي أنه بعد اهتزاز صورته أمام العالم الإسلامي وأنه ظهر بموقف المتخاذل سوف لن يقف مكتوف الأيدي، وهو الذي حصل على لقب خليفة المسلمين.

إغتنم المستنصر سكون خصومه لتنظيم دفاعه واستنجد بعدد كبير من الجند ومن رجال القبائل الذين أتى بهم من منطقة قسنطينة بقيادة والي بجاية أبي زيان محمد بي عبد القوي أمير بني توجين، كما اكتسبت المقاومة صبغة الجهاد المقدس حيث أن رجال الدين أصدروا نداءا إلى الأهالي مستشهدين بالقرآن لتحرضهم على الجهاد[4]

1 العمري شهاب الدين أحمد بن فضل الله، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار)ممالك اليمن و الغرب الإسلامي و قبائل العرب**، تح : حمزة أحمد عباس ، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1990، ص 112

2 أمين معلوف، **الحروب الصليبية كما رآها العرب**، تر : عفيف دمشقية، دار الفارابي، بيروت، 1990، ص 203 .

3 محمد مؤنس عوض، المرجع السابق، ص 207 .

4 روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص 80 .

كذلك شاركت منطقتا الساحل والقيروان في هذه الحملة المنظمة لتجنيد المجاهدين[1] بقيادة الشيخين "أبي علي سالم القديدي" و"أبي علي عمار المعروفي"، فاجتمع حولهما خلق كثير[2] كذلك جاءت جموع من العرب والقبائل كما أمده ملوك المغرب من زناتة وبني توجين، وعين سبعة من الموحدين على سائر الجند[3] .

كذلك امتلأت سواحل اردس بالمرابطين والمطوعة وجند الأندلس الذين وصل عددهم حوالي أربعة آلاف فارس وهؤلاء كانوا تحت قيادة محمد بن أبي الحسين رئيس الدولة[1].

و حيال ذلك فإن لويس التاسع تردد ولم يقدم على هجوم تونس كما أن تأخر وصول أخيه شارل وقلة التنظيم في الجيش الصليبي ووجود المرضى كل ذلك سمح للمستنصر أن يجمع هذه الأعداد من المدافعين[3] .

قامت خطة المستنصر على إحكام الحصار حول قوات الحملة ومنع وصول الإمدادات إليها، والعمل على تصيد الصليبيين فرادى دون الدخول معهم في معركة حاسمة أو سريعة ثم تقدمت القوات الإسلامية وحاصرت القلعة، فرد لويس على ذلك بزيادة تحصينات الميناء والبرج وبدأ بتحصين الطرق والشوارع المؤدية إلى القلعة .

كذلك حاول المستنصر تخليص الميناء من قبضة الصليبيين خشية إيقاع تونس في محنة اقتصادية فهو أيضا بالنسبة للويس المنفذ الآمن الذي يمكنه من خلاله الحصول على الإمدادات من أخيه شارل الذي كان ينتظر قدومه[4]، وقد أرسل رسالة يدعوهم فيها إلى تأجيل هجومهم إلى أن يصل وقد استجاب لويس لذلك لأنه بحاجة إلى المدد لشن هجوم

---

1 روبار برنشفيك، المرجع السابق، ن ص .

2 محمد المطوي، **السلطنة الحفصية**، ص 348 .

3 ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 038 .

4 منى فاخر النائب، المرجع السابق، ص 88 .

على أوسع نطاق، حتى أن القوات الصليبية اضطرت إلى وقف القتال والاقتصار على موقف الدفاع، والقيام ببعض المناوشات وذلك بانتظار قدوم شارل الذي أرسل رسالة عن قرب وصوله لكنه تأخر عن القدوم[1] طيلة شهر كامل أو يزيد[2]، ومن هنا نستنتج أن مدة الانتظار هذه سمحت للمستنصر إنهاء تجهيزاته.

إنتشر مرض الوباء بين جيش لويس التاسع حيث أصيب العديد وساعدت ظروف الطقس لا سيما الحر الشديد خلال شهر أغسطس على انتشار حدة الإصابة وكان الملك من أوائل الذين عصف بهم الوباء وعندما وصل أخوه شارل دانجو مع جيشه علم أن أخاه قد توفي منذ ساعات قليلة فترأس الحملة.

أما بالنسبة لسبب موته فهو موضع خلاف بين المصادر الإسلامية فابن خلدون أورد أكثر من رأي حيث يقول :(ثم إن الله أهلك عدوهم وأصبح ملك الفرنجة ميتا حتف أنفه، ويقال أصابه سهم غرب في بعض المواقف فأبته، ويقال أصابه مرض الوباء، ويقال وهو بعيد أن السلطان بعث إليه مع ابن جرام الدلاصي بسيف مسموم وكان فيه مهلكه) ، فابن خلدون بذلك استبعد الرأي الأخير القائل بأنه مات بسيف مسموم. إلا أن الباجي المسعودي يذكر: (أنه توفي بسهم غرب وقيل بالوباء)[3] .

و بخصوص تاريخ وفاته فقد اتفقت جل الروايات التاريخية أنها سنة تسع وستين، كابن أبي زرع، وابن الشماع، واتفق معهم ابن أبي دينار وغيرهم .

1 روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص 112 .

2 محمد الطالبي، المرجع السابق، ص 167 .

3 الباجي المسعودي، المصدر السابق، ص 12 .

أخذ شارل دانجو جثة لويس إلى مدينة بلرمة، وجعله رجال الكنيسة في مرتبة القديسين كما سجل في التاريخ من كبار الملوك الذين حكموا فرنسا .

5- الهزيمة وانسحاب الحملة :

فبوفاة لويس تلاشى الأمل الأخير الذي تعلق به صليبيو المشرق الذين اعتبروا ملوك فرنسا هم المدافعون عن مصالح بيت المقدس، فتولى شارل دانجو قيادة الحملة الذي كان يطمع في احتلال الشمال الإفريقي[1] .

فعلا بدأ شارل بشن هجوم مضاد على العدو حيث تسربت بعض السفن الحربية الصغيرة إلى بحيرة تونس لإحداث غارتين برية وبحرية وقام المسلمون بهجوم مضاد لمنع تلك العملية فردهم شارل على أعقابهم وكبدهم خسائر فادحة فبدؤوا بحفر خندق حول معسكرهم[2] .

و هنا يورد برنشفيك رواية يتهم شارل بالتخاذل فيقول : (و لكن يبدو أن شارل لم يكن يرغب في مواصلة هذا الانتصار العسكري ... إلا أنه حول استغلاله على الصعيد الدبلوماسي بالشروع خفية في التفاوض مع المستنصر الذي كان يود بدون شك قبول شروط خصمه بسرعة).

1 ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 210 .

2 روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص 83 .

وقع صدام آخر بقيادة "يحي بن صالح" وتعد هذه المعركة من أبرز المعارك التي سجلت في تلك الحملة فقد تكبد الطرفان خسائر فادحة قدر بها عدد القتلى بخمسمائة قتيل[1]، ثم نشبت معركة جديدة إذ غار المسلمون على المعسكر الصليبي بأعداد كبيرة وسقط نتيجتها عدد من القتلى لكلا الطرفين ، فأدرك كلا منهما أن الحرب ليست مجدية فبدأ يميلان إلى التفاوض[2] .

1 محمد المطوي، **السلطنة الحفصية**، ص 348 .

2 ممدوح حسين، و مصطفى شاكر ،المرجع نفسه، ص 207 .

الخاتمة

الخاتمة:

من خالل دراستنا لموضوع الحروب الصليبية في افريقية توصلنا إلى العديد من النتائج و التي يمكن إيجازها فيما يلي :

-إن خلفيات الحروب الصليبية مرتبطة بما أخذت شمال إفريقية من مكانة ذات أهمية بالنسبة للكنيسة و العالم المسيحي، جعلت منها محل اهتمام و أنظار العالم الغربي منذ القدم .

-كما لعبت فتوحات المسلمين و انتصاراتهم التي حققوها في صقلية و الاندلس حتى وصلوا قلب أوروبا في معركة بواتييه بفرنسا (بالط الشهداء) دورا بالغ الأثر، حيث أفرزت انعكاسات خطيرة في الغرب الأوروبي في جميع الميادين، و أصبح يحسب للقوة الاسلامية ألف حساب، مما زاد من حدة العداء و التفكير في استرداد الغرب المسيحي كرامتهم و ماء وجههم التي سلبت بعدما كانوا قوة تنهب و تقتل و تسلب كل شيء، و هذا ما خلف آثارا لا يحمد عقباها .

-كما أن ظروف و أوضاع واقع المجتمع الاسلامي في بلاد المغرب جراء صراعات سياسية و مذهبية و التي أدت إلى ضعفها و تمزيقها منذ العهد الزيري، فازدادت سوءا إلى غاية العهد الحفصي، فكانت حالة مغرية للنصارى باالقدام على أخذ الثأر و رد الفعل و قد طال انتظار الامم النصرانية لهذا ألمر، فكانت أواخر القرن الخامس الهجري أحسن فرصة للانطلاقة، و هذا و ان دل إنما يدل على الضعف العام الذي نخر قوة الشمال الافريقي.

- إن السبب الرئيسي وراء قيام هذه الحمالت مرتبط بأوضاع غرب أوروبا خلال القرن الخامس هجري فأوضاعها خلقت هذه الدوافع كما مثل الجانب الاقتصادي، دورا مهما عبر عن سوء الاحوال الاقتصادية في غرب أوروبا، و ما جره من اشتراك لكل طبقات المجتمع الاوروبي، خاصة بعد الخطاب البابوي الذي أفصح من خلاله عن سوء الاحوال

االقتصادية، و ما للبلاد الاسلامية من أراضي وثروات يمكن استغاللها، أما السبب السياسي و الاستراتيجي لا يعد الا من الدوافع الإستثنائية تخص البابوية والحكام تقريبا، أما الدافع االجتماعي ما هو الا انعكاس لتلك الأوضاع و على رأسهم الإقتصادي، و الدافع الديني لم يكن أبدا سوى غطاء تحت راية الصليب لإخفاء أهداف هذه الحركة .

-إن النشاط التنصيري الذي شمل بلاد إفريقية، و كذا المشاريع التي خطط لها لم تحقق شيئا، الا الخيبة و تراجع أحالمهم التبشيرية و خططهم العسكرية و الاقتصادية، و مهما يكن فإن هذه المشاريع هي تعبير واضح عن حضور إفريقية القوي في وجدان الحركة الصليبية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

-ابن إسحاق ، **السيرة النبوية**، تح : أحمد فريد المزيدي، ج 1، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989 .

-ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ**، تص : محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990.

-ابن جبير ، **رحلة ابن جبير**، تح : حسين نصار، د ط، مكتبة نصر ،القاهرة، 1334م.

-إدوارد غالي الذهبي، **معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**، ط1، مكتبة غريب، القاهرة، 1993.

-المسعودي أبي الحسن بن علي، **مروج الذهب و معادن الجوهر**، مرا: كمال حسن مرعي، بيروت، 2005.

-جان موريس فييه، **أحوال النصارى في خلافة بني العباس**، ط 1، دار المشرق، بيروت، 1990.

-جوزيف شاخت، و كليفورد بوزورث، **تراث الإسلام**، تر: محمد رهير السمهوري وآخرون، تح: شاكر مصطفى، ج 1، ع 433، د ط، عالم المعرفة، الكويت، 1998.

-حسين العودات، **العرب النصارى عرض تاريخي**، ط 1، الأهالي للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، 1992.

-عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج 1، د ط، دار الأمة، الجزائر ، 2009

-عبد العزيز الدولاتي، **تونس أعلام و معالم**، د ط، الوكالة القومية للتراث، د ب ن، 1997 .

-كفوري صفي الرحمن المبارط، **الرحيق المختوم**، د ط، دار ابن خلدون، د ب ن، د س ن.

- ممدوح حسين، و مصطفى شاكر، **الحروب الصليبية في شمال إفريقية و أثرها الحضاري سنة 668 – 792 هجرية 167 – 1390 ميلادية**، ط 1، دار عمار، الأردن، 1998.

-ابن تغري بردي ، **النجوم الازهرة في ملوك مصر و القاهرة**، د ط، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، د س ن.

-أحمد صفر ،**مدينة المغرب العربي في التاريخ عشرون قرنا من تاريخ إفريقية من عصور ما قبل التاريخ إلى آخر العهد البيزنطي**، ج 1، د ط، دار بوسلامة، تونس، 1959.

-الترجمان أبي محمد عبد الله الميورقي، تحفة **الأريب في الرد على أهل الصليب** : تح : عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 2000.

-العمري شهاب الدين أحمد بن فضل الله، **سالك الأبصار في ممالك الأمصار ممالك اليمن و الغرب الإسلامي و قبائل العرب**، تح : حمزة أحمد عباس ، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2001,

-أمين معلوف، الحروب الصليبية كما رآها العرب، تر : عفيف دمشقية، دار الفارابي، بيروت، 1990.

-أنطونيو دومينقير هورتز وبرنارد بنشنت، الحروب الصليبية، ترجمة: عبد العال صالح طه، دار الاشراق، 1990.

-بن أيبك الدواداري، **كنز الدرر و جامع الغرر (الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية)**، تح : أولرخ هارمان، ج 8، د ط، قسم الدراسات الإسلامية، القاهرة، 1990.

-بيترو. إديوري، **قبرص والحروب الصليبية**، ط 5، دار الملتقى للطباعة و النشر، بيروت، 2007.

-روبار برنشفيك، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 01 إلى نهاية القرن 05م**، تر : حمادي الساحلي، ج5، ط5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002.

-سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوت، **أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، دار العبيكان للأبحاث والتطوير، الرياض، 2004.

-سعيد عاشور، واسمت غنيم، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، د ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1337م.

-عمار عمورة، **الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962م الجزائر عامة**، ج1، د ط، دار المعرفة، الجزائر ، 2006.

-قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة، مصر ، 1990.

-محمد العروسي المطوي، **الحروب الصليبية في المشرق و المغرب** ، ط 4، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1384م

-محمد العروسي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الاثير للنشر والتوزيع، الأردن، 1998.

-محمد حبيب بشاري، **روما و زارعة المقاطعات الإفريقية بين 146 ق.م و 285**، د ط، دار الهدى، الجزائر ، 2015.

-محمد فرحات، تاريخ الحملات الصليبية، دار المنار للنشر والتوزيع، مصر، 1998.

-وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة: حسن الحبشي، مكتبة الأسرة، 1991.

الفهرس

الفهرس:

مقدمة: .....أ

الفصل الأول: ماهية الحروب الصليبية

1- تعريف الحروب الصليبية.....6

2.أسباب الحروب الصليبية:.....6

3-الإطار التاريخي للحركة الصليبية:..... 11

4- خلفيات الصراع الصليبي. 12

5- أهمية بلاد المغرب عند الغرب المسيحي: 15

6- إنتصار مسلمي المغرب ووصول الفتوحات الى وصقلية : 18

الفصل الثاني: المشاريع والحروب الصليبية في افريقية

1- نشاط حركة التنصير في شمال إفريقية..... 21

2- مشاريع الصليبية:..... 24

3- صليبية لويس التاسع على إفريقية 32

4- انطلاق الحملة:..... 35

5- الهزيمة وانسحاب الحملة : 42

الخاتمة: 45
قائمة المصادر والمراجع: 48
الفهرس: 53